شبكة الإمام الآجري تقدم لكم

احذروا من الظلم

خطبة جمعة مفرغة

لفضيلة الشيخ

عبد الله الذمّاري بن عثمان

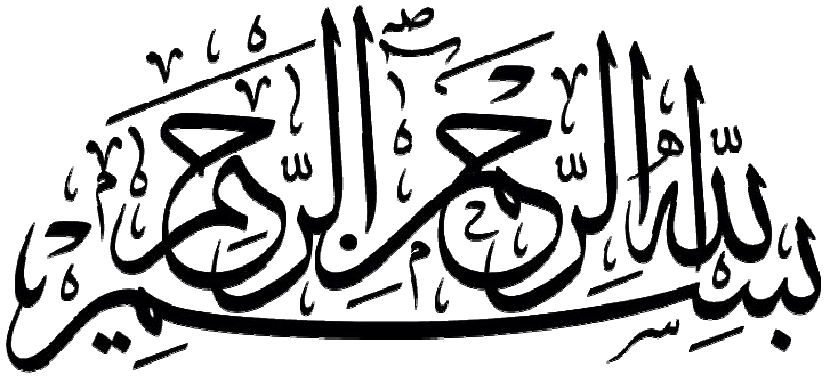
بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله تعالىٰ نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾(آل عمران: ١٠٢)

﴿أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾. (النساء: ١)

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً.يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾. (الأحزاب: ٧٠ - ٧١)

أما بعد؛ فإن خير الحديث كتاب الله تعالىٰ، وخير الهدي هدي محمد ﷺ و شر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار، أعاذنا الله وإياكم من النار.

أيها المؤمنون؛

جاء في صحيح مسلم من حديث أبي ذر رضي الله عنه، قال رسول الله ﷺ : يقول الله عز وجل في الحديث القدسي:" يا عِبَادِي إني حَرَّمْتُ الظُّلْمَ علىٰ نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فلا تَظَالَمُوا.." وذكر الحديث.

هذا الحديث العظيم الذي يُبين الله سبحانه وتعالىٰ فيه أنه حرّم الظلم علىٰ نفسه، وهو إله الخلق وهو ربهم وهو خالقهم وهو مالكهم ومع ذلك فقد حرّم الظلم علىٰ نفسه، وقال في كتابه الكريم: ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِن كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ﴾ [الزخرف : 56].

وقال في كتابه الكريم: ﴿ مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ [ق : 29].

وقال في كتابه الكريم: ﴿ وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف:49]، والآيات كثيرة، الدّالة علىٰ أنّ الله سبحانه وتعالىٰ نَزّه نفسه عن الظلم، وهو المالك؛ مالك الملك ومالك الخلق، فهو الذي أوجدهم من العَدَم، وهو الذي أعطاهم جميع أصناف النّعم وأعطاهم من كل ما سألوه ونعمه عليهم كثيرة، ومع ذلك يُحرّم الظلم علىٰ نفسه سبحانه وتعالىٰ، وقال: "وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فلا تَظَالَمُوا"، فالظلم مُحرّم، حرّمه الله سبحانه وتعالىٰ، لا يجوز لأحد أن يظلم أحدا، فإذا كان الله قد حرّم الظلم علىٰ نفسه فقد حرّمه أيضا علىٰ جميع خلقه.

ولأهمية الأمر، فإن الله يجري القصاص بين الخلائق يوم القيامة حتىٰ بين الحيوانات، فقد روىٰ مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ "لتؤدون الحقوق إلىٰ أهلها يوم القيامة حتىٰ يُقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء ".

فإذا كان القصاص يجري حتىٰ بين الحيوانات فكذلك بين الناس من باب أولىٰ وأحرىٰ، وقال ﷺ "يقتص الخلق بعضهم من بعض حتىٰ الجماء من القرناء ، وحتىٰ الذرة من الذرة"[1] يقتص الخلق يوم القيامة بعضهم من بعض حتىٰ النملة من النملة ! النملة تقتص من النملة إذا كانت قد ظلمتها في شيء، فكيف بالإنسان إذا ظلم غيره؟

(1) أخرجه الألباني في السلسلة الصحيحة (1967)، (116/4). من حديث أبو هريرة. وقال: إسناده صحيح رجاله ثقات رجال مسلم

وحين نتحدث عن الظلم؛ فالظلم ينقسم إلىٰ ثلاثة أقسام؛ أعلاه وأعظمه الشرك بالله رب العالمين، فالشرك أعظم أنواع الظلم، والكفر أعظم أنواع الظلم، فالشرك والكفر هما أعظم أنواع الظلم عند الله رب العالمين.

القسم الثاني؛ الكبائر، التي تتعلق بحقوق الله رب العالمين.

القسم الثالث؛ حقوق الآخرين، وهو ظلم العبد لغيره.

فلو ظلمت نفسك بذنب فأنت ظالم، أو ظلمت غيرك فأنت ظالم، أو وقعت في أي معصية فأنت تُعد ظالمًا.

ومن المعلوم أن الذنوب تنقسم إلىٰ ثلاثة أقسام؛ منها ما يُخرج من ملة الإسلام. ومنها ما هو كبيرة من كبائر الذنوب يوجب لصاحبه جهنم، إلا أن يعفوا الله عنه. ومنها ما هو صغائر، وإذا استكثر العبد من الصغائر كان ذلك موجبا للنار، عياذا بالله رب العالمين.

ولهذا إخوة الإيمان؛ اتقوا الظلم، فإن الظلم خطره عظيم!!

كما ذكرنا الشرك أعظم أنواع الظلم، وهو القسم الأول؛ ولهذا يقول لقمان عليه السلام لابنه وهو يعظه: ﴿ يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ [لقمان : 13].

وأما ما يتعلق بحقوق الآدميين؛ فأعظمه هو القتل وقال ربنا في كتابه الكريم: ﴿ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلاَ يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا﴾ [الإسراء : 33]، من قُتل مظلومًا، أي من قتله أحدٌ من الناس وبدون سبب شرعي ولا مبرر شرعي فقد قُتل مظلومًا، هو مظلوم، والله سبحانه وتعالىٰ يأخذ حق المظلوم من الظالم في الدنيا والآخرة.

وهكذا أمة محمد؛ أنواع الظلم كثيرة، فجميع الذنوب وجميع المعاصي تعتبر من الظلم الذي حذر الله عز وجل منه في كتابه الكريم، يقول ربنا في كتابه الكريم: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَابَّةٍ وَلَكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [النحل:61] ، فلو يؤاخذنا ربنا بذنوبنا ما بقي علىٰ وجه الأرض أحدًا، لأنه ما منا من أحد إلاّ وهو يقع في الذنب، إلاّ وهو يقع في المعاصي، لكن الله يؤخر الحساب إلىٰ يوم القيامة.

ولهذا؛ كن علىٰ حذر، أيها المسلم الكريم، من الذنوب والمعاصي.

وسيكون كلامنا بإذن الله مُركّزا حول ظلم العبد لغيره، فليكن المسلم علىٰ حذر من ذلك.

ومن المعلوم جدا أنّ الظلم يُسبب دمار الحياة ويُسبب هلاك الأمم، يقول الله في كتابه الكريم: ﴿وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا﴾ [الكهف : 59].

وفي الصحيحين من حديث أبي موسىٰ الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: "إن الله ليملي للظالم حتىٰ إذا أخذه لم يفلته، ثم تلىٰ قول الله: ﴿ كَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود : 102]". فالظالم ربما يُملي الله له عز وجل في هذه الدنيا بعد ذلك إذا أخذه، أَخَذه أَخْذ عزيز مقتدر، لن يفلته ولن يستطيع أن يفر من بين يدي الله رب العالمين.

أيها المسلمون؛ احذروا من الظلم، فإن الغيبة ظلم والنميمة ظلم، وكذلك اللّعن ظلم إلاّ من كان مستحقا، والسَّبُّ ظلم، وكذلك السُّخرية والإستهزاء، وجميع ما فيه أذىٰ للمسلم فهو يُعدّ من أنواع الظلم عند الله رب العالمين.

فلتكونوا علىٰ حذر من ظلمكم للآخرين؛ حتىٰ لو ظلمتَ ولدك كنتَ محاسبا بين يدي الله، ولو ظلمتَ زوجتك كنتَ محاسبا بين يدي الله، ولو ظلمتَ أختك كنتَ محاسبا بين يدي الله، ولو ظلمتَ أخاك كنتَ محاسبا بين يدي الله، بل لو ظلمتَ الحيوان كنتَ محاسبا بين يدي الله رب العالمين.

لهذا؛ احذر أيها المسلم الكريم من أي نوع من الظلم، هذا أبو مسعود رضي الله عنه يقول ضربتُ غلاما لي، قال: وإذا بصوت من خلفي وهو يقول: اعلم أبا مسعود، قال: فلم أسمعه من شدة الغضب، قال: ثم التفت فإذا هو رسول الله ﷺ وهو يقول: "اعلم أبا مسعود لَلَّه أقدر عليك منك علىٰ هذا الغلام"-أي يا أبا مسعود إن كنتَ قويا علىٰ هذا الغلام فرب العالمين أقوىٰ منك، فهو قوي عليك- فتوقف أبو مسعود رضي الله عنه وأرضاه ثم قال: يا رسول الله هو حر لوجه الله، فقال: أما لو لم تفعل للفعتك النار"[2] أي لو لم تفعل لأدركتك النار، عياذا بالله رب العالمين.

فإذا كان هذا في حق الغلام المملوك، الذي يملكه، إشتراه بخالص ماله أو ورثه من

(2) رواه أبو داود في سننه من حديث أبو مسعود البدري عقبة بن عمرو(5159)، وسكت عنه. [وقد قال في رسالته لأهل مكة كل ما سكت عنه فهو صالح]

مورثه، أو أخذه أو أُعطيه، فهو مملوك، ومع ذلك يحاسبه الله سبحانه وتعالىٰ، فكيف بمن يظلم غيره من الأحرار الذين لا يملك منهم شيا؟

وجاء أيضا عند أحمد وغيره من حديث عائشة رضي الله عنها أن رجلا أتىٰ النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إن لي مملوكين يعصونني ويكذبونني ويخونوني فأضربهم وأشتمهم فكيف أنا منهم؟ فقال النبي ﷺ : "إذا كان يوم القيامة جمع الله سبحانه وتعالىٰ كذبهم عليك وخيانتهم لك وعصيانهم لك، وضربك وشتمك لهم فإذا كان سواء لا لك ولا عليك، وإذا كان ضربك وشتمك لهم أكثر كان ذلك فضلا عليك -أي أُخذ حقهم منك- فتولىٰ الرجل وتنحّىٰ علىٰ جنب وأخذ يبكي -أي من موقف الحساب ومن هوله- فقال النبي ﷺ : أو ما قرأت قول الله: ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ﴾ [الأنبياء : 47]، فقال الرجل: يا رسول الله لا أجد لي حلا ولهم إلا أن أعتقهم، أُشهدك يا رسول الله أنهم أحرار لوجه الله رب العالمين".

فانظر أيها المسلم الكريم؛ كيف يجري الله القصاص حتىٰ بين المالك والمملوك من البشر، فلتكن علىٰ حذر، فإذا كان هذا في حق من يملكه العبد فكيف بحق غيره من الأحرار؟!

ولهذا؛ احذروا أمة محمد من الظلم فإنّ الظلم محسوب علىٰ صاحبه، جاء في الصحيحين من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: أرسل النبي ﷺ معاذ بن جبل إلىٰ اليمن فقال

له: " إنك ستأتي قوما من أهل الكتاب ، فإذا جئتهم فادعهم إلىٰ أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، فإن هم أطاعوا لك بذلك ، فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة ، فإن هم أطاعوا لك بذلك ، فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم صدقة ، تؤخذ من أغنيائهم ، فترد علىٰ فقرائهم ، فإن هم أطاعوا لك بذلك ، فإياك وكرائم أموالهم ، واتق دعوة المظلوم ، فإنه ليس بينه وبين الله حجاب "[3] فإذا كان النبي ﷺ يقول لرسوله معاذ الذي أرسله إلىٰ اليمن يقول له، ومعاذ مُرسَل من النبي ﷺ "واتقي دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب" أي يا معاذ احذر أن تظلم أحدا، فإنك إذا ظلمت إنسانا ودعىٰ عليك استجاب الله دعاءه فيك.

فاحذر من دعوة المظلوم، فإنها تسري في ظلام الليل وستجد أبواب السماء مفتوحة، تصعد إلىٰ السماء كأنها شرارة. روىٰ الحاكم في المستدرك من حديث ابن عمر رضي الله عنهما وصححه الألباني رحمه الله، أن النبي ﷺ قال: "دعوة المظلوم مستجابة تصعد كأنها شرارة" أي تصعد إلىٰ السماء كأنها شرارة.

ويقول النبي ﷺ " اتقوا دعوة المظلوم فإنها تحمل علىٰ الغمام يقول الله عز وجل وعزتي وجلالي لأنصُرنّك ولو بعد حين"[4] يُقْسم رب العالمين بعزته وجلاله أنه سينصر

(3) صحيح البخاري (4347)

(4) أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد (155/10) وقال: فيه من لم أعرفه، والمنذري في الترغيب والترهيب (199/3) وقال: لا بــأس بإســناده في المتابعات، وكلاهما عن خزيمة بن ثابت

المظلوم، لابد أن ينصره ولو بعد فترة طويلة. "لأنصرنّك ولو بعد حين" هكذا يقول الله ويقول النبي ﷺ.

دعوة المظلوم مستجابة ولو كان فاجرا، ففجوره علىٰ نفسه حتىٰ لو كان المظلوم كافرا أو فاجرا أو فاسقا، إذا ظُلم فإنّ الله يستجيب دعاءه، لأن الله حرّم الظّلم علىٰ نفسه، فلا يظلم كافرا ولا مسلما ولا يظلم أحدا. وهكذا أيضا لا يرضىٰ الله أن يظلم أحدا حتىٰ ولو كان المظلوم كافرا وكان الظالم مؤمنا، الله لا يقبل هذا.

ولهذا؛ احذروا يا أمة محمد من الظلم فإن الحساب يوم القيامة دقيق. ففي الدنيا دعوة المظلوم مستجابة، فربما سرت دعوته في ظلام الليل وربما استجاب الله دعوته، فربما دمّر الله أمّة بسبب مظلوم دعىٰ عليهم حين كانوا ظالمين، ربما يُهلك الله أمّة بأسرها بسبب الظلم.

ولهذا؛ انظروا وخذوا عبرة، كم نرىٰ من العروش تتهاوىٰ، فكم من دولة تتهاوىٰ عروشها وتتساقط مناصبها، وكم من زعيم وملك وكم من كبير في الأرض يهوي عرشه ويسقط ويُهلكه الله بسبب الظلم، بل ربما هلكت جيوش ساحقة وجيوش كبيرة وأمم كثيرة بسبب الظلم.

فاحذروا من الظلم! احذروا من الظلم! فإن الظلم خطير علىٰ صاحبه في الدنيا والآخرة ﴿وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا﴾ [الكهف : 59].

فكونوا علىٰ حذر من الظلم!

أيها المسلمون؛ كونوا علىٰ حذر من الظلم! هذا رب العالمين يقول في كتابه الكريم ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلا نِسَاء مِّن نِّسَاء عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلا تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الحجرات : 11]، فإذا كان الله قد السُّخرية من الظلم، وجعل اللَّمز من الظلم وجعل التنابز بالألقاب من الظلم، فما بالك بمن يظلم أحدا بماله أو بعرضه أو بدمه؟! فكيف حاله عند الله رب العالمين؟

هذا الأمر الذي يؤذي المسلمين، إما بالسخرية أو باللمز أو بالغمز أو باللقب الذي يكرهه المسلم، إذا كان هذا يُعتبر ظلمًا وهو من الأمور اليسيرة فكيف بغيرها، العظيمة؟! كيف بمن ينال من أموال المسلمين؟ وكيف بمن ينال من أعراض المسلمين؟! وكيف بمن ينال من دماء المسلمين؟ كيف حاله يوم القيامة؟! عياذا بالله رب العالمين.

أيها المسلم الكريم؛ احذر أن تظلم غيرك واحذر أن تُعين أحدا علىٰ الظلم فإنّك إن أعنت ظالمًا علىٰ ظلمه أشرفت علىٰ طريق الهلاك، عياذا بالله رب العالمين.

تذكر وقوفك بين يدي الله، تذكر وقوف الظالمين بين يدي الله رب العالمين، وتذكر وقوفك حين يجتمع خصومك يوم القيامة وحين يطالبون بمظالمهم التي ظلمتهم فيها ويطالبون بحقوقهم التي أخذتها عليهم، إما من مال أو كان ذلك من عرض أو كان ذلك

من دم، وقد وقفوا أمام الذي لا يُظلَم أحدٌ عنده، قد وقفوا أمام الله سبحانه وتعالىٰ، وقفوا أمام محكمة العدل الإلاهية التي لا يُظلم عنده أحد، سبحانه وتعالىٰ.

فتذكر نفسك أيها المسلم الكريم، وأنه لن تنال من مسلم، حتىٰ الكلمة التي تؤذي المسلم إلاّ حوسِبْت عليها يوم القيامة.

روىٰ مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول ﷺ " أتدرون ما المفلس؟ قالوا : المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع. فقال : إن المفلس من أمتي، يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ، ويأتي قد شتم هذا ، وقذف هذا ، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا. فيعطىٰ هذا من حسناته وهذا من حسناته. فإن فنيت حسناته، قبل أن يقضىٰ ما عليه، أُخذ من خطاياهم فطرحت عليه. ثم طرح في النار"[5] انظر كيف يدمر الظلم الحسنات ويبيدها ! فإذا كان الحساب علىٰ السبّ والشتم واللعنة، فكيف بمن يضرب؟ وكيف بمن يأخذ أموال المسلمين؟

أسال الله بعزته وجلاله أن يبرّئنا من الظلم وأن ينجينا منه، إنه أرحم الراحميـــــن.

(5) صحيح مسلم (2581)

الخطبة الثـانية:

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلاّ علىٰ الظالمين، أشهد أن لا إله إلاّ الله وَليُّ الصالحين وأشهد أنّ محمدا عبده ورسوله إمام المتقين.

اللهم صلي علىٰ محمد وعلىٰ آل محمد كما صليت علىٰ إبراهيم وعلىٰ آل إبراهيم إنك حميد مجيد، اللهم بارك علىٰ محمد وعلىٰ آل محمد كما بارك علىٰ إبراهيم وعلىٰ آل إبراهيم إنك حميد مجيد.

أما بعد؛

إخوة الإيمان، احذروا من الظلم واحذروا من إعانة الظالم علىٰ الظلم.

روىٰ مسلم في صحيحه من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ " اتَّقوا الظّلم، فَإِنّ الظّلْم ظُلمات يوم القيامة، واتَّقوا الشُّحَّ، فإنّ الشُّحَّ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، حَمَلَهُمْ علىٰ أن سَفَكُوا دِمَاءَهُمْ، وَاسْتَحَلُّوا مَحَارِمَهُمْ"[6] فالرسول يُبين أنّ الظلم يتحول إلىٰ ظلمة شديدة يوم القيامة، اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة.

وفي الصحيحين من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: "الظلم ظلمات يوم القيامة" فالظلم ظلمات يوم القيامة..

أيها المسلم الكريم، إن الذي يظلم يكون في ظلمات يوم القيامة مغمورا، وربما هلك مع الهالكين، عياذا بالله رب العالمين.

---

(6) رواه مسلم في صحيحه (2578)، والسيوطي في الجامع الصغير(136)، والألباني في صحيح الجامع (102) و صحيح الأدب المفرد (373).

ولهذا حذَّر النبي ﷺ من الظلم ومن إعانة الظالم عليه؛ قد روىٰ الإمام أحمد من حديث جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : "يا كعب بن عُجْرة أعاذك الله من إمارة السفهاء" قال: قلت وما إمارة السفهاء يا رسول الله؟ قال: "قوم يستنّون بغير سنتي ويهتدون بغير هديي، فمن صدقهم بكذبهم وأعانهم علىٰ ظلمهم، فأولئك ليسوا مني ولست منهم ولا يَرِدون عَلَيّ الحوض، ومن لم يصدقهم بكذبهم ولم يُعنهم علىٰ ظلمهم فأولئك مني وأنا منهم وسيرِدون عليَّ الحوض"، الظالم لا يشرب من حوض رسول الله ﷺ والذي يُعين الظالم لا يشرب من حوضه ﷺ بل يتبرّأ الرسول ﷺ منهم، فهو يقول: "فأولئك ليسوا مني ولست منهم ولا يَرِدون عَلَيّ الحوض" فالظالم ومن يعينه علىٰ الظلم لا يشربون من حوض رسول الله ﷺ يوم الحساب.

يقول النبي ﷺ: "ويلٌ للأمراء، ويلٌ للعرفاء، ويلٌ للأمناء، ليتمنين أقوام يوم القيامة أن ذوائبهم معلقة بالثريا يدلدلون بين السماء والأرض، وأنهم لم يلوا عملا"[7] أي سيأتي يوم علىٰ من تولىٰ المسؤولية علىٰ رقاب المسلمين، يتمنّون أنهم يُعلَّقوا بشعر رؤوسهم في الثريا يتدلدلون ما بين السماء والأرض وأنهم ما وُلّوا وما تولَّوا شيئا من أمور المسلمين وهذا يدل علىٰ الخطر وفي البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : " إنكم ستحرصون علىٰ الإمارة، وستكون ندامة يوم القيامة، فنعم المرضعة وبئست الفاطمة"[8] نعمت المرضعة حين يبني صاحبها القصور والدرر ويشتري السيارات

(7) أخرجه الألباني في صحيح الترغيب من حديث أبو هريرة (789)،(2179). وقال: صحيح لغيره

(8) صحيح البخاري (7148)

من الأموال التي يقبضها من الرشوة أو غيرها، أو من الأموال العامة ولكنها بئست الفاطمة عند أن يُحضر يوم القيامة وعند أن يجتمع الخصوم بين يدي الله رب العالمين يخاصمونه وكل واحد يطالب بحقوقه التي أخذها عليه، فالرسول يقول: "نعمت المرضعة وبئست الفاطمة".

أيها المسلمون؛ كل واحد منا يُعتبر مسؤولا في مقامه، وسنُسأل جميعا بين يدي الله، فالرَّجل مسؤول والمرأة مسؤولة والعبد مسؤول وولي الأمر مسؤول. وكل مسؤول من المسؤولين تولىٰ علىٰ شيئ من رقاب المسلمين سيسأله رب العالمين عن المسؤولية التي تولاّها، يقول النبي ﷺ :"إنّ الله سائل كل راع عما استرعاه حفظ أم ضيع"[9] ؛ أنت عن مسؤول عن أولاده، أنت عن مسؤول عن أسرتك، المرأة مسؤولة عن أبنائها، هكذا كل واحد منا مسؤول. وكلما كانت المسؤولية أعظم كان الحساب أشدّ، وكان السؤال أعظم بين يدي الله رب العالمين. وفي الصحيحين من عبد الله بن عمر رضي الله عنه أنّ النبي ﷺ قال: "كلكم راع ، وكلكم مسؤول عن رعيته ، فالإمام راع ، وهو مسؤول عن رعيته ، والرجل راع في أهله ، وهو مسؤول عن رعيته ، والمرأة راعية في بيت زوجها ، وهي مسؤولة عن رعيتها ، والخادم راع في مال سيده ، وهو مسؤول عن رعيته ، والرجل راع في مال أبيه وهو مسؤول عن رعيته ، فكلكم راع ، وكلكم مسؤول عن رعيته"[10] فسنُسأل جميعا عن ما

(9) أخرجه المنذري في الترغيب والترهيب (178/3) من حديث أنس

(10)أخرجه الألباني في صحيح الجامع (4569)، والبخاري في صحيحه (893)، (7138)

وَلأنّا رب العالمين سبحانه وتعالىٰ، الكل سيُسأل، فالواجب أن نُعِدّ الإجابة من الآن.

كيف المخرج بين يدي الله رب العالمين؟

نلاحظ في صفوف المسلمين جرأة علىٰ الظلم! وما أعظم الجرأة علىٰ إرتكاب الظلم في هذه الحياة!

جاء في صحيح البخاري، قال رسول الله ﷺ : "مَنْ أَخَذَ مِنْ الأَرْضِ شَيْئًا بِغَيْرِ حَقِّهِ خُسِفَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَىٰ سَبْعِ أَرَضِينَ"[11] فَيَا من يأخذ أموال المسلمين ظلمًا أنت ستأتي تحملها يوم القيامة علىٰ كاهلك مهما عظمت وكثرت، ويخسف الرحمن بك في ساحة الحساب فأنت تتجلجل في الساحة خمسين ألف سنة حتىٰ يُقضىٰ بين الخلائق.

وفي الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ :"من ظلم قيد شبر من الأرض، طوقه من سبع أرضين"[12] أي أنت إذا أخذت قطعة أرض ظلما علىٰ صاحبها جئتَ يوم القيامة وقد قطعها الرحمن وجعلها قطعة واحدة من هذه الأرض التي نحن عليها إلىٰ الأرض السابعة ويجعلها طوقا علىٰ عنقك تحملها خمسين ألف سنة، وأنت تحملها بصخورها وترابها وجبالها وأَوْحالها وصلبها وليَّنها، تحملها وتبقىٰ حاملا لها خمسين ألف سنة حتىٰ يقضي رب العالمين بين الخلائق، وربما يُقضىٰ بعد ذلك فيك إلىٰ نار جهنم، عياذا بالله رب العالمين.

---

(11) رواه البخاري في صحيحه في كتاب المظالم والغصب (2274)

(12) أخرجه السيوطي من حديث عائشة وسعيد بن زيد في الجامع الصغير (8842)، والألباني في صحيح الجامع (6385)

نلاحظ جرأة علىٰ الظلم في الإدارات وفي غيرها، وكم رأينا وكم سمعنا ممن يظلم المسلمين علىٰ حساب المسؤولين، أو علىٰ حساب الأحزاب، فكم من رجل إذا لم يكن صاحب المعاملة من أهل حزبه يظلمه ولا يقضي له المعاملة، من أجل ماذا؟ لأنه ما دخل في حزبه، وما وافقه علىٰ رأيه.

أيها المسلم الكريم؛ أين تذهب حين يُصبح رب العالمين وكيل المظلومين؟!

وأنت الذي ظلمت المسلم من أجل حزبك أو من أجل مديرك أو من أجل المسؤول الفلاني أو من أجل الطائفة الفلانية، أين تذهب حين تصبح خصما لرب العالمين وحين يصبح الرحمن خصمك؟ حرّم الظلم علينا ونحن تجرّأنا ووقعنا فيه، احذروا يا أمة محمد من الظلم! احذروا يا أصحاب الإدارات! اليوم دنيا وغدًا آخرة، اليوم غاب الضابط الذي يضبطكم، وغدًا ستصبحون جميعا بين يدي الرحمن.

والله لا يُضيع حقوق الخلق سيأخذ حقوق الخلق كاملة. أنت لو أخذت دينارا أو درهما واحدا كنت محاسبا عليه بين يدي الله فكيف بمن يأخذون الضرائب ويأخذون أموال الناس بطرق متعددة ويضيفون علىٰ السلع مبالغ باهضة، أجهدوا الفقراء وأجهدوا المساكين وأجهدوا المعوزين، وأصبح الفقراء مُجهدين بسبب رفع السلع، وبسبب رفع الضرائب وغيرها.

وكيف بكم إذا جئتم رب العالمين وقد نكستم الرؤوس بين يدي الله رب العالمين، وهناك الله يقول:﴿هَذَا يَوْمُ لا يَنطِقُونَ وَلا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾

[المرسلات : 35-37]، اُسكت أيها الظالم ولا تتكلم وتقدم أيها المظلوم وتكلم فإنّك أمام محكمة العدل الإلاهية، إنّ الله يجري القصاص يوم القيامة علىٰ الخلائق، فيأخذ كل مظلوم مظلمته بين يدي الله، يأخذها كاملة، فاحذروا من الظلم.

أسال الله بعزته وجلاله أن يُنجّيني وإياكم من الظلم وأن يُصلح وُلاة أمورنا

اللهم أصلح ولاة أمورنا واهدي قلوبهم يا أرحم الراحمين،

اللهم اقذف في قلوبهم الرحمة للفقراء والمساكين،

اللهم لا تجعلهم نقمة علينا، واجعلهم رحمة بنا يا أرحم الراحمين

اللهم أصلح الراعي والرعية وارحم الأمة المحمدية

اللهم أُنشر عدلك في أرضك،

اللهم أرزقنا العمل بكتابك وبسنة رسولك ﷺ

أنت أرحم الراحميـــــــــــــن.